

دورة الطاعون في جزائر القرن السابع عشر 17م The plague cycle in Algeria seventeenth century 17 AD

حفيان رشيد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة (الجزائر)، ar.rachid@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/05/31 تاريخ القبول: 2020/08/31 تاريخ النشر: 2021/10/30

ملخص:

شكلت دورة الأوبئة مرحلة عصبية تفاوتت شدتها باختلاف الزمان والمجال الجغرافي بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني وقد تصدر وباء الطاعون قائمتها، لذا ارتأينا في هذا المقال الوقوف عليه باعتباره الأكثر تأثيراً خلال القرن السابع والذي وقف كحاجز أمام سيروية النمو الديمغرافي والاقتصادي للمجتمع الجزائري العثماني، وذلك من خلال تحديد الضبط المفاهيمي إلى تحديد الفرق بينه وبين الوباء والوقوف على أنواعه، وآليات انتشاره، وتتبع دورته خلال القرن السابع عشر زماناً ومكاناً، ومن هنا جاءت أهمية الموضوع كأرضية خصبة للبحث في ظل غياب الدراسات الجادة والمتعلقة بالمعرفة الطبية وتاريخ الأمراض التي بقيت محدودة جداً، كنمط جديد ظهر مع التطور الحاصل في الكتابات التاريخية الحديثة.

كلمات مفتاحية: الطاعون، الجزائر العثمانية، القرن السابع عشر، المعرفة الطبية، الأوبئة.

Abstract:

The epidemiological cycle formed a difficult stage, the intensity of which varied according to the time and the geographical area in the maintenance of Algeria during the Ottoman era. Through defining the conceptual setting to define the difference between it and the epidemic, and to determine its types and mechanisms of its spread, and to follow its course during the seventeenth century in time and space, hence the importance of the topic as a fertile ground for research in the absence of serious and related studies. The medical knowledge and history of diseases that remained very limited, as a new pattern emerged with the development in modern historical writings.

Key words: plague, Ottoman Algeria, seventeenth century, medical knowledge, epidemics.

مقدمة :

تعاقت سنوات الأوبئة على الجزائر خلال العهد العثماني مستهدفة المجتمع بمختلف فئاته سواء في المدن أو الأرياف، فكان المجتمع الجزائري يعيش مختلف مظاهر السوء والخوف وهاجس هذه الأزمات باستمرار التي تحولت عند تعاقبها وتسلسلها إلى كوارث ديمغرافية ، وعلى رأسها الطاعون الذي كان أكثر فتكا بالسكان في جزائر القرن السابع عشر، لذلك يُعد موضوع المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض من أكثر المواضيع التي حظيت مؤخرا بالاهتمام في بلاد المغرب عامة (البزاز، 1992)، ومنها الجزائر لما تحتوية المصادر المحلية والأجنبية من مادة دسمة حولها، اذ تقدم لنا صورة حية عن الواقع الصحي للجزائر العثمانية مجتمعا وسلطة ضمن التأريخ للأزمة كنمط جديد في الكتابة التاريخية، وقد حاولنا في هذه الورقة البحثية الوقوف على إحدى الأوبئة والمتمثلة في الطاعون متسائلين عن طبيعته؟ وماهي آليات انتشاره؟ وفيم تمثلت دورته خلال القرن السابع عشر؟

1. الضبط المفاهيمي للطاعون:

الطاعون:

في اللغة داء معروف والجمع طواعين، وطعن الرجل والبعر فهو مطعون، وطعين أصابه الطاعون، والطاعون المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان (منظور، ص.266)

إن هذا التعريف يكتنفه الغموض لعمومية المعلومات التي ترتبط به كمصطلح، فنجد لفظ الوباء والطاعون يطلقان على كل مرض فتاك سواء أكان طاعونا أو أي وباء يتميز بالانتشار الواسع وحصد أعداد كبيرة من الضحايا (حسن، 2014، ص.118)، ولهذا وجب التمييز بينهما.

2. الفرق بين الوباء والطاعون:

يعتبر التعميم الذي لازم الإخباريين حين ذكرهم لأوبئة من بين الإشكاليات الأولى التي واجهت الباحثين في موضوع الأوبئة، وتشخيص المرض ووصفه، فقد ورد خلط في الحوليات والمخطوطات غالبا بين الطاعون والوباء وبين الأمراض الأخرى ، ولم تتردد في إطلاق تسمية طاعون على كل مرض ينتشر انتشار واسع بين الناس، ولم تقدم وصف دقيق لأعراضها (Léonce, 1951, p.101)، سواء في

الفترة الحديثة "فما تمدنا به مصادرها من أرقام ينبغي أن نأخذها مأخذ الحيطة والحذر الشديدين، إذ يبدو من الصعب إيلؤها كبير اعتبار ثم إننا يتعذر علينا في معظم الحالات أن نحيط بطبيعة المرض الوبائي، كما كان هذا الأمر يتعذر على من عاصروا تلك الأوبئة... والكلمتين وباء وطاعون في العربية ليس لها معنى بائن معلوم، فينبغي الاحتراس من رد الوباء كله إلى العدوى الناجمة عن التقاط عصية الطاعون، فقد يكون كل شأنه أنه وباء فتاك، لذلك ترانا نجعل في معظم الأحيان كلمة طاعون بين مزدوجين لعدم استطاعتنا تحديد المرض المقصود بها" (حميد، 2010، ص.15)

أو التي سبقتها إذ عندما يتحدث أهل العصر الوسيط المتأخر عن الوباء فإنهم لا يقفون عند الطاعون لوحده بل يتعدى الأمر في بعض الحالات إلى مرض الكوليرا التي كانت تتسبب بدورها في مقتل أعداد كبيرة من البشر، لأن المصادر التاريخية هنا تتحدث عن الوباء بشكل عام دون تخصيص (محمد، 2002م، ص.87)، فقد جاءت في كتاباتهم لفظي الوباء والطاعون للدلالة على كل مرض فتاك (حسن، 2014، ص.115)، دون التفريق بينهما مما يصعب على الباحث معرفة نوع المرض السائد لأي فترة زمنية يحدث فيها (أحمد، 1993، ص.39)، في حين كان مفهوم الوباء في الاصطلاح العلمي أشمل وأعم من مرض الطاعون فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعون أي أن الطاعون نوع من الأوبئة (مزدور، 2009/2008، ص.21)، ويرجع البعض ذلك الخلط ذلك إلى الحالة الفكرية التي وصفوها بعدم التجديد والتطور منذ القرن 14م خاصة أمام انتشار المعتقدات واجترار ما خلفه السلف (حسن، 2014، ص.118)

3. أنواع الطاعون: توجد ثلاثة أنواع من الطاعون:

1.3. الطاعون الدملي:

ويسمى أيضا بالحيواني لأنه يصيب في الغالب الحيوانات خصوصا منها القوارض الجرذان، وتنتقل العدوى من حيوان مصاب إلى الإنسان بواسطة وخز الإنسان من طرف البراغيث الحاملة للجراثيم من الجرذان، ومن أعراضه بروز سريع لدمل في الإبط وأعلى الفخذ ويهلك المصاب في الغالب خلال مدة تقدر بخمسة أيام إلى ثمانية (5-8 أيام)، ويمكن أن تتطور من حالة طاعون دملي إلى حالة طاعون رئوي، كما أثبتت الدراسات الحديثة إمكانية انتقال عدواه من الإنسان للإنسان عن طريق البراغيث (حسن، 2014، ص.134)، إذ يصيب الغدد اللمفاوية في الرقبة أو في الإبط

حيث تتضخم حجمها في حجم بيض الدجاج (عثمان، 1998، ص.208)، ويعتبر هذا النوع الأكثر شيوعاً بأكثر من 90٪ من الحالات وهو قاتل في 80٪ من الحالات (مصطفى، 2013، ص.22)، ومن بين الأسماء التي اشتهر بها لدى المغاربة "بوكبار" أو "الولسيس" أو "بوطابك" (2011، ص.188)

2.3. الطاعون الرئوي:

الذي انتقل من الإنسان إلى الإنسان عن طريق التنفس ويتميز بالتهاب رئوي حاد، ويتوقف انتشاره إلى العوامل المناخية المساعدة كالرطوبة الجوية والحرارة التي لا تقل عن 15 درجة مئوية ونظراً لسرعة تطوره فالطاعون الرئوي يقضي على المصاب بالفيروس خلال بضع ساعات إلى يومين (حسن، 2014، ص.134)، على أساس أنه التهاب رئوي يصحبه سعال مع عسر التنفس، وازرقاق في البشرة، ونفث دم يمور بباصلات الطاعون (بوجمعة، 2011، ص.188)، كما ترتفع درجات الحرارة عند المصاب إلى 41 درجة مئوية (القشاعي، 2010، ص.223)، وهذا النوع الأكثر انتشاراً عن طريق العدوى وقاتل في جميع الحالات (مصطفى، 2013، ص.22)

3.3. الطاعون اللمفاوي (التعفي أو الإنتاني):

ويمثل هذا النوع التطور النهائي لطاعون دملي ورئوي، إذ يجتاح فيه الطاعون كامل الجسم الذي يتعرض إلى حالة تعفن خطير للدم (حسن، 2014، ص.134)، وتتمثل أعراضه الأساسية في الحمى الشديدة للمريض التي تصل إلى 42 درجة مئوية ويتحول لون بشرته إلى البنفسجي، ثم يرتعش وتنتابه نوبات من العطش يؤدي به إلى الهلاك في يومه (القشاعي، 2010، ص.223)، ويطلق عليه اسم الطاعون الأسود (مصطفى، 2013، ص.22)

والمتتبع لدورات الأوبئة في الجزائر العثمانية يجد أن وباء الطاعون كان أكثرها انتشاراً مقارنة مع باقي الأوبئة، حتى أن ضرباته كانت بمعدل مرة كل سنة أو سنتين، فقد تم إحصاء أكثر من 151 سنة شهدت فيها الجزائر العثمانية ضربات للطاعون وهذا بين سنوات 1552 / 1830 م (Ismet, 2014, p.97)

إلى جانب وباء الطاعون شهدت بيئة الجزائر العثمانية أمراض أخرى منها الحمى الصفراء (Jean, 1927, p.156)، والجذري الذي شاع في الجزائر في شكل وباء دوري بداية القرن السادس عشر عندما ضرب الحامية الإسبانية في بجاية عام 1509 م، وعام 1560 م، والجزائر سنوات 1789 م،

1803م (مصطفى، 2013، ص.76)، والملايا أو حى المستنقعات خاصة بالأماكن التي انتشرت فيها المياه الملوثة كسهل متيجة (القشاعي، 2010، ص.254)، وقد أعطيت أسماء مختلفة لهذا المرض الناتج عن الهواء الفاسد منها البرداء (مصطفى، 2013، ص.91)، إلى جانب الملايا نجد التيفوس وهو أحد الأمراض المعدية التي انتشرت في الجزائر في شكل وباء مستوطن كانت جرثومة الركتيسا سببا رئيسيا له والتي تنتقل عن طريق قمل الجسم البشري (مصطفى، 2013، ص.107)، وقد زادت في انتشاره عوامل أخرى منها براغيث الفئران مما خلف تراجع ديمغرافي (القشاعي، 2010، ص.261)، أما مض الزهري فقد كان الأسرى من أهم ناقله إلى الجزائر الذي ظهر بها خاصة سنوات 1792م، و1817م، كما عانى سكان الجزائر العثمانية من الالتهابات الرئوية (القشاعي، 2010، ص.258)، في حين سجلت الايالة غياب أمراض المفاصل أو الورماتيزم، والنقرس على حد قول حمدان خوجة (Hamdan, 2015, p.74)، كل هذه الأمراض كانت ناتجة اما عن سوء التغذية، أو عدم الالتزام بالقواعد الصحية (القشاعي، 2010، ص.253)

4. آليات العدوى:

تعددت آليات ووسائل انتشار العدوى بين نشاط التجار والبحارة والحجاج وتنقل المسافرين كعناصر أساسية في انتقال العدوى وانتشارها بشكل واضح حولنا الوقوف على أهمها كمايلي:

1.4. مناسبة الحج:

بغض النظر عن مكنة الحج كركن أساسي من أركان الإسلام، فقد شكل خلال العهد العثماني خطروباي على سلامة الحجاج المغاربة عموما (آمال، 2016، ص.117)، كون المشرق المصدر الأساسي لانتقال العدوى إلى الايالة عن طريق الحجاج القادمين من بلاد الحرمين الشريفين (القشاعي، 2010، ص.127)، سواء على طريق البحر أو البر، فقد اشتهرت الإسكندرية كمحطة رئيسية لنشاط التجار باعتبارها أكبر الموانئ ، وملتقى بين البحر المتوسط والبحر الأحمر للسفن المغربية التي تنقل الحجاج ذهابا وإيابا إلى مكة على طريق البحر هذا النشاط والموقع جعلها مستوطن لوباء الطاعون ومستقرا فيها مما ساهم في انتشار العدوى إلى باقي الموانئ والبلدان باتجاهات مختلفة منها الجزائر فقد ذكر جوزيف بيتس بعد عودته قائلا: "وقد صعد إلى ظهر السفينة بعض الأشخاص المصابين فسرى الطاعون بيننا، وقد شفى بعض ممن أصيبوا وألقينا في

البحر عشرين جثة ممن ماتوا بسببه..." (بتس، 1995، ص.75)، وبذلك شكلت مناسبة الحج أرضية خصبة لانتشار وباء الطاعون في البلدان المتوسطية منها الجزائر وهذا ما حدث في ماي 1752م بسبب عدوى من سفينة تنقل الحجاج لينتقل إلى المغرب الأقصى بحرا وبراً عن طريق القوافل التجارية (القشاعي، 2010، ص.112)

2.4. القوافل التجارية :

على طريق البر التي أوردنا مختلف محطاتها ومسالكها تشكل القوافل التجارية فيها وسيلة مساعدة على نقل العدوى (القشاعي، 2010، ص.244)، إلى مختلف الأماكن والجهات، خصوصا أنها تعتمد على الحيوانات كوسيلة أساسية في عملية النقل وتختلف وسائل النقل من مكان لآخر ففي التل يستعمل التجار الجمال والبغال للسلع والخيل للأشخاص، في حين تستعمل الجمال والحمير المصرية في الصحراء، وتكون عمليات النقل هذه على شكل قوافل تضم مجموعة من التجار تربط بينهم مصلحة الطريق أو على شكل نجع أو قبيلة متحركة بكامله (العربي، 1984، ص.67) وتسير هذه القوافل وفق نظام محكم، لقد ساهمت هذه القوافل في نقل العدوى من مكان إلى آخر تتوقف فيه، مما أدى في بعض الأحيان إلى الامتناع عن الاحتكاك بهذه القوافل مثل ما حدث عام 1663 أين امتنع سكان الأغواط عن التعامل مع ركب الرحالة العياشي بعد عودته من تأدية فريضة الحج حيث أغلقت الأسواق أبوابها في وجه التجار والقوافل خوفا من العدوى فقد منع الركب في بعض الأماكن من الدخول مثل ما حدث في الأغواط خشية انتقال العدوى لقول العياشي : "ونزلنا الأغواط... وكان في الركب أعراب فقالوا لأهل البلدان : في الركب وباء فلم يتركوا أحدا يدخل إليهم..." ، وقد كان التعامل بحذر شديد مخافة العدوى مع الركب الذي يحمل الوباء أو يشتبه فيه ذلك " وكانوا يدلون الزرع من فوق السور ويأخذون الريال ويغسلونه ولا يتناولونه إلا بعد الغسل، والله تبارك وتعالى يكتب السلامة والعافية أمين" (العياشي، 2006، ص.546)، لقد كان هذا الأسلوب كإجراء وقائي لمنع انتقال الوباء والاحتراز منه من قبل ساكنة الأغواط، لكنه في نفس الوقت من شأنه أن يضر باقتصاد المدينة باعتبارها محطة مهمة في طريق القوافل الدينية أو التجارية.

وما تجدر الإشارة إليه أن سرعة انتقال الوباء بمختلف أنواعه على طريق البر أبطأ وأقل سرعة مقارنة بطريق البحر لطول المدة التي تقطعها هذه القوافل من محطة إلى أخرى.

3.4. الأسواق:

السوق فضاء متعدد الوظائف فقد كان بذلك أكثر من "وعاء" للأنشطة الاقتصادية إذ هو فضاء لإعادة إنتاج مجموعة من الممارسات والعلاقات فقد اعتبره البعض فضاء سوسيو-جغرافي (Lauwe, 1966, p.593)، هذا الفضاء يقوم بوظائف متعددة وأهما تلك التي لها صبغة اقتصادية ومنها التجارة (كريم، 2007، ص.141)

إن هذه الأسواق كوحدة اقتصادية وفضاء تجاري تشكل تجمع بشري يلتقي فيه البائع والمشتري والسلعة "في الإطار الأساسي لعمليتي الإنتاج والتوزيع" (كريم، 2007، ص.141)، وتشكل مناسبة لانتقال عدوى بعض الأوبئة وبالأخص الطاعون إذ يلتقي فيها تجار مطعونون بغيرهم عن طريق تبادل السلع والبضائع قد تزيد من الوضع سوءا.

4.4. القوارض (فئران الموانئ والجردان):

فيما يخص مسألة العدوى من الجانب الطبي الحديث فإن أغلبها أقرب بأن الفئران هي الناقل الأساسي للعدوى خاصة داخل السفن والموانئ البحرية، وهو الأمر الذي تفتن له الطبيب السويسري "يارسين Yersin" عام 1896م، والذي أكد أن الفأر ناقل لجراثومة الطاعون بعد إصابته عن طريق القاذورات الملقاة على الأرض (آمال، 2016، ص.191)، فقد شكلت فئران الموانئ عاملا أساسيا في نقل العدوى إلى الإنسان في إفريقيا باعتبارها تعيش على مقربة من محيطه (روبرت، س.، 2017، ص.32)

5. كرنولوجيا الطاعون في الجزائر خلال القرن السابع عشر (1600-1699م):

المتتبع لدورات الأوبئة في الجزائر العثمانية يجد أن وباء الطاعون كان أكثرها انتشار مقارنة مع باقي الأوبئة، حتى أن ضرباته كانت بمعدل مرة كل سنة أو سنتين، فقد تم إحصاء أكثر من 151 سنة شهدت فيها الجزائر خلال العهد العثماني ضربات للطاعون وهذا بين سنوات 1552-1830م (Ismet, 2014, p.97)، ورغم صعوبة تقديم قراءة رقمية دقيقة مرتبطة بالظاهرة الإنسانية والاجتماعية التي يكتنفها الغموض والتعقيد والتي يصعب تكميمها والتعبير عنها بقيم محددة ودقيقة على حد قول الكثير من الباحثين حولنا الوقوف على دورة الطاعون ضمن الجدول الآتي:

جدول 1:

ضربات الطاعون خلال القرن السابع عشر 17 م

السنوات	ضربات الطاعون	مكان الانتشار	المصدر/المرجع
1601م	×	الجزائر	-Mémoire sur la peste en Algérie, Manuscrit n°3305, de la bibliothèque nationale Algérienne., f 2. -أمين (محمد)، الاختراق التجاري، ص 52. رونبرجي (برنار)، التريكي (حميد)، المجاعات والأوبئة، ص 267.
1605م	×	قسنطينة- الجزائر	- Manuscrit, f 2. أمين (محمد)، الاختراق التجاري، ص 52. - Mercier, Ernest. Histoire de Constantine, p219
1609م	×	قسنطينة- الجزائر	-القشاعي، الواقع الصحي، ص 93. - Mercier, Ernest. Histoire de Constantine, p219. Grammont, H.-D. de.. Histoire d'Alger sous ladomination turque (1515-1830), paris, 1887, p150 et s.
1610م	×	قسنطينة- الجزائر	-القشاعي، الواقع الصحي، ص 93. - Mercier, Ernest. Histoire de Constantine, p219. Grammont, H.-D. de.. Histoire d'Alger sous ladomination turque (1515-1830), paris, 1887, p150 et s.
1611م	×	قسنطينة- الجزائر	-القشاعي، الواقع الصحي، ص 93. -Mercier, Ernest. Histoire de Constantine, p219. Grammont, H.-D. de. Histoire d'Alger sous ladomination turque (1515-1830), paris, 1887, p150 et s.
1612م	×	قسنطينة- الجزائر	-القشاعي، الواقع الصحي، ص 93. -Mercier, Ernest. Histoire de Constantine, p219. رونبرجي (برنار)، التريكي (حميد)، المجاعات والأوبئة في مغرب القرنين 16 و 17 م، ص 267.
1613م	×	الجزائر	-القشاعي، الواقع الصحي، ص 93. Grammont, H.-D. de.. Histoire d'Alger sous la domination

turque (1515-1830), paris, 1887, p150 et s.			
-القشاعي، الواقع الصحي، ص 93. Grammont, H.-D. de.. Histoire d'Alger sous ladomination turque (1515-1830), paris, 1887, p150 et s.	الجزائر	×	1614م
--Manuscrit, f 2. أمين (محمد)، الاختراق التجاري، ص 52. -القشاعي، الواقع الصحي، ص 249. رونبرجي (برنار)، التريكي (حميد)، المجاعات والأوبئة، ص 268.	الجزائر	×	1620م
--Manuscrit, f 3. أمين (محمد)، الاختراق التجاري، ص 52.	الجزائر	×	1639م
-أمين (محمد)، الاختراق التجاري، ص 52.	الجزائر	×	1643م
--Manuscrit, f 3. أمين (محمد)، الاختراق التجاري، ص 52.	الجزائر	×	1647م
--Manuscrit, f 3. أمين (محمد)، الاختراق التجاري، ص 52. -العياشي، لقط الفرائد من ماء الموائد	الجزائر-بسكرة	×	1649م
--Manuscrit, f 3. أمين (محمد)، الاختراق التجاري، ص 52.	الجزائر	×	1650م
-أمين (محمد)، الاختراق التجاري، ص 52. -القشاعي، ص 249. De Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER, p203.	الجزائر-وهران- بجاية-قسنطينة	×	1654م
De Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER, p203.	وهران-بجاية- قسنطينة	×	1655م
De Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER, p203.	وهران-بجاية- قسنطينة	×	1656م
De Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER, p203.	وهران-بجاية- قسنطينة	×	1657م
De Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER, p203	وهران-بجاية- قسنطينة	×	1658م
De Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER, p203	وهران-بجاية- قسنطينة	×	1659م
De Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER, p203	وهران-بجاية- قسنطينة	×	1660م
--Manuscrit, f 3.	الجزائر	×	1661م

أمين (محمد)، الاختراق التجاري، ص 52.			
De Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER, p203	وهران - بجاية - قسنطينة	×	1662م
- الرحلة العياشية، مج 2، المصدر السابق، ص 546. --Manuscrit, f 3.	الجزائر	×	1663م
أمين (محمد)، الاختراق التجاري، ص 52. --Manuscrit, f 3.	الجزائر	×	1664م
De Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER, p203	وهران - بجاية - قسنطينة	×	1665م
--Manuscrit, f 3.	الجزائر	×	1673م
أمين (محمد)، الاختراق التجاري، ص 52. --Manuscrit, f 3.	ايالة الجزائر	×	1676م
رونبرجي (برنار)، التريكي (حميد)، المجاعات والأوبئة، ص 268.	ايالة الجزائر	×	1678م
أمين (محمد)، الاختراق التجاري، ص 52.	بسكرة	×	1679م
بلحميسي (مولاي)، الجزائر من خلال رحلات المغاربة، ص 17 --Manuscrit, f 3.	الجزائر	×	1689م
أمين (محمد)، الاختراق التجاري، ص 52. -أمين (محمد)، الاختراق التجاري، ص 52.	الجزائر - شرشال	×	1691م
-Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.	الجزائر	×	1693م
- Manuscrit, f 3.	الجزائر - سيدي فرج	×	1695م
-أمين (محمد)، الاختراق التجاري، ص 52. Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.	مدينة الجزائر - سواحل الجزائر	×	1697م
-Manuscrit, f 3.	الجزائر	×	1698م
-أمين (محمد)، الاختراق التجاري، ص 55.	المجموع	36	

المصدر: حفيان رشيد، 2021، ص. 348.

من خلال معطيات الجدول يتبين أن ضربات الطاعون مست 36 سنة من أصل 100 سنة خلال القرن السابع عشر (17م)، هذا دون النظر الى نصيب باقي الكوارث الطبيعية من الضربات التي مرت بها الإيالة كما يوضحه الشكل التالي:

جدول 2:

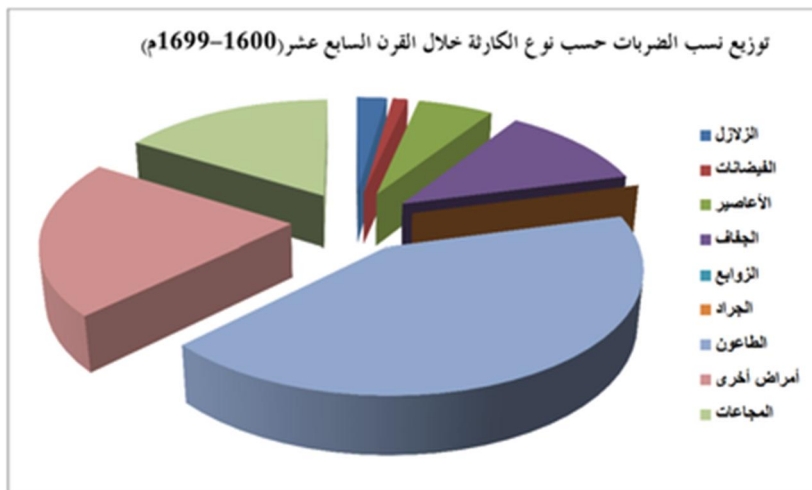
دورة الكوارث الطبيعية خلال القرن السابع عشر 17م (1600-1699م)

توزيع عدد الضربات حسب نوع الكارثة									
الزلازل	الفيضانات	الأعاصير	الجفاف	الزوابع	الجراد	نوع الأوبئة		المجاعات	اجمالي الضربات
						طاعون	أمراض أخرى		
02	01	05	10	00	00	36	18	14	86
2.32	1.16	5.81	11.62	00	00	41.86	20.93	16.27	100
النسبة %									

المصدر: حفيان رشيد، 2021، ص.91.

يُعد الطاعون أكثر الأوبئة انتشار خلال القرن السابع عشر مقارنة مع باقي الكوارث الطبيعية خاصة في الحواضر الكبرى كقسنطينة والجزائر ووهران وتلمسان لطابع العدوى التي تعتبر خاصية من خصائص الطاعون، مثلما يبينه الرسم البياني التالي والمستخلص من الجدول 2:

شكل 1:



المصدر: بتصرف من خلال مخرجات الجدول 2 أعلاه

إن هذه السلسلة من الكوارث الطبيعية شكلت مرحلة عصبية تفاوتت شدتها من مرحلة لأخرى وهذا باختلاف الزمان والمجال الجغرافي بالإيالة خصوصاً الطاعون الذي تصدر دائرة الكوارث الطبيعية وفقاً لضرباتها المتكررة لتليها سلسلة من المجاعات وغزوات الجراد ودورات الجفاف التي تبين ارتباطها ببعضها البعض ارتباط وثيقاً وقفت أمام سيرورة النمو الديمغرافي والاقتصادي للمجتمع الجزائري العثماني علماً الإحصائيات المتوصل إليها تبقى نسبية فقط وغير مطلقة إذ لا تتوفر على تقديرات يمكن الإستناد إليها لغياب التقدير الكمي الدقيق.

خاتمة:

ختاماً خلف الطاعون أثراً عميقاً، بدءاً بالوفيات إلى تضرر الفئات الهشة من المجتمع التي زاد حالها سوءاً خلال هذه الأزمات إلى حدوث خلخلة عميقة في نفوس المجتمع الجزائري العثماني من خوف وجوع وغلاء في الأسعار إلى ممارسة سلوكات جديدة من طرف فئاته كالتهب واللصوصية وقطع للطريق لتأمين حياته إلى اختيار البعض للهجرة والفرار سواء بطريقة إرادية أو قسرية هرباً من آثاره إلى غاية مرور الوباء أين تنخفض الوفيات وتعود الحياة إلى طابعها المألوف، وفي المقابل أثر هذا الوضع بشكل سلبي في حالة الإنحصار الاقتصادي بمختلف أنشطته.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الأمين، محمد البزاز (1992)، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب، الرباط.
2. بوجرة، حسين (2011)، الطاعون وبدع الطاعون، الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير (1350-1800)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
3. بنعدادة، آسيا (2011)، المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.
4. بن يدر، كريم، الحرف والحرفيون بمدينة تونس خلال القرنين 18 و19، مركز النشر الجامع، تونس.
5. جوتفريد، روبرت (2017)، الموت الأسود، جائحة طبيعية وبشرية في عالم العصور الوسطى، تر: أبو أدهم عبادة كحيلة، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
6. حفيان، رشيد (2014)، الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12 هـ/17-18 م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة، الجزائر.
7. حفيان، رشيد (2021)، الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة، الجزائر.
8. خياطي، مصطفى (2013)، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، منشورات، ANEP، الجزائر.
9. جوزيف بتس، الحاج يوسف (1995)، رحلة إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمة ودراسة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، مصر.
10. روزنجي، برنار، والتريكي، حميد (2010)، المجاعات والأوبئة في مغرب القرنين 16 و17 م، ط2، ترجمة عبد الرحيم حزل، دار الأمان، الرباط.
11. رويان، بوجمعة (2011)، الطاعون والزهرى بالمغرب خلال عهد الحماية 1912-1938 م، ضمن أعمال بنعدادة (آسيا)، المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغرب، منشورات عكاظ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط.
12. الزبيري، محمد العربي (1984)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
13. السعداوي، أحمد (1993)، المجاعات والأوبئة في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط: النتائج الديموغرافية، الديموغرافيا التاريخية في تونس والعالم العربي لمجموعة باحثين، دار سراس، تونس.
14. العياشي، أبو سالم عبد الله بن محمد (2006)، الرحلة العياشية، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج2، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية.
15. فتحة، محمد (2022)، الوباء الجارف بالغرب الإسلامي- معطيات ومواقف، جمعه بنعدادة (آسيا)، المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغرب، منشورات عكاظ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط.
16. الفرقان، حسن (2014)، أدبيات الأوبئة في مغرب القرن 19 م، نموذج أقوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي، دراسة وتحقيق، ط1، دار التوحيد، الرباط، المغرب، 2014.
17. الكاديكي، عثمان (1998)، الأمراض المعدية، ط3، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا.
18. مصطفى، أمال (2016)، الحج والوباء خلال القرنين 18 و19 م، تونس نموذجا، المجلة التاريخية المغربية، ع/162، تونس.
19. موساوي القشاعي، فلة (2010)، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871 م)، منشورات بن سنان، وزارة الثقافة، الجزائر.
20. سمية، مزدور (2009)، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927 هـ/1192-1520 م)، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري-قسنطينة.
21. Chombart, de Lauwe (1966), Des hommes et des villes [compte-rendu].
22. Khodja, Hamdan (2015), le Miroir (aperçu historique sur la régence d'Alger), tafat, L'Algérie.
23. LAMARQUE, Léonce (1951), recherches historiques sur la médecine dans la régence d'Alger, n°1, Imprimerie Baconnier, Alger.

24. Marchika, Jean (1927), La Peste en Afrique Septentrionale : Histoire de la peste en Algérie de 1363 à 1830, Alger.
25. Touti, Ismet (2014), la peste et le commerce extérieur de l'Algérie à l'époque ottomane, revue d'histoire maghrébine, n°154-155, Tunis.